@ 188 @ عليهم ؛ ويبدأ بالأهم ، والأسهل فالأسهل . ومنها : أنه لو فرض عليهم القتال مع قلة عددهم وعددهم ، وكثرة أعدائهم لأدى ذلك إلى اضمحلال الإسلام . فروعي جانب المصلحة العظمى ، على ما دونها ، ولغير ذلك من الحكم . وكان بعض المؤمنين ، يودوون أن لو فرض عليهم القتال في تلك الحال ، غير اللائق فيها ذلك . وإنما اللائق فيها ، القيام بما أمروا بها في ذلك الوقت ، من التوحيد ، والصلاة ، والزكاة ونحو ذلك كما قال تعالى : ! 2 2 ! . فلما هاجروا إلى المدينة ، وقوي الإسلام ، كتب عليهم القتال ، في وقته المناسب لذلك . فقال فريق من الذين يستعجلون القتال قبل ذلك ، خوفا من الناس ، وضعفا وخورا : ! 2 2 ! ؟ وفي هذا تضجرهم ، واعتراضهم على ا . وكان الذي ينبغي لهم ، ضد هذه الحال التسليم لأمر ا ، والصبر على أوامره . فعكسوا الأمر المطلوب منهم ، فقالوا : ! 2 ! 2 أي : هلا أخرت فرض القتال ، مدة متأخرة عن الوقت الحاضر وهذه الحال ، كثيرا ما تعرض لمن هو غير رزين ، واستعجل في الأمور قبل وقتها . فالغالب عليه ، أنه لا يصبر عليها وقت حلولها ، ولا ينوء بحملها ، بل يكون قليل الصبر . ثم إن ا وعظهم عن هذه الحال ، التي فيها التخلف عن القتال فقال : ! 2 2 ! أي : التمتع بلذات الدنيا وراحتها ، قليل . فتحتمل الأثقال في طاعة ا ، في المدة القصيرة ، مما يسهل على النفوس ويخف عليها . لأنها ، إذا علمت أن المشقة التي تنالها ، لا يطول لبثها ، هان عليها ذلك . فكيف إذا وازنت بين الدنيا والآخرة ، وأن الآخرة خير منها ، في ذاتها ، ولذاتها ، وزمانها : فذاتها كما ذكر النبي صلى ا عليه وسلم في الحديث الثابت عنه (أن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها) . ولذاتها ، صافية عن المكدرات ، بل كل ما خطر بالبال ، أو دار في الفكر ، من تصور لذة فلذة الجنة فوق ذلك كما قال تعالى : ! 2 2 ! . وقال ا على لسان نبيه : (أعددت لعبادي الصالحين ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر) . وأما لذات الدنيا ، فإنها مشوبة بأنواع التنغيص ، الذي لو قوبل بين لذاتها ، وما يقترن بها من أنواع الآلام ، والهموم والغموم ، لم يكن لذلك نسبة بوجه من الوجوه . وأما زمانها ، فإن الدنيا منقضية ، وعمر الإنسان بالنسبة إلى الدنيا شيء يسير . وأما الآخرة ، فإنها دائمة النعيم ، وأهلها خالدون فيها . فإذا فكر العاقل في هاتين الدارين ، وتصور حقيقتهما حق التصور ، عرف ما هو أحق بالإيثار ، والسعي له ، والاجتهاد لطلبه ، ولهذا قال 2 ! : 2 ! أي : اتقى الشرك ، وسائر المحرمات . ! 2 2 ! أي : فسعيكم للدار الآخرة ، ستجدونه كاملا موفرا ، غير منقوص منه شيئا . ^ (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في

بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا ه ذه من عند ا وإن تصبهم سيئة يقولوا ه ذه من عندك قل كل من عند ا فما له ؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) ^ ثم أخبر أنه لا يغني حذر عن قدر ، وأن القاعد لا يدفع عنه قعوده شيئا فقال : ! 2 2 ! أي : في أي زمان ، وأي مكان . ! 2 2 ! أي : قصور منيعة ، ومنازل رفيعة . وكل هذا حث على الجهاد في سبيل ا ، تارة بالترغيب في فضله وثوابه ، وتارة بالترهيب من عقوبة تركه ، وتارة بالإخبار أنه لا ينفع القاعدين قعودهم ، وتارة بتسهيل الطريق في ذلك ، وقصرها . ثم قال : ! 2 2 ! الآية . يخبر تعالى ، عن الذين لا يعلمون ، المعرضين عما جاءت به الرسل ، المعارضين لهم : أنهم إذا جاءتهم حسنة ، أي : خصب وكثرة أموال ، وتوفر أولاد وصحة ، قالوا : ! 2 ! 2 وأنهم ، إن أصابتهم سيئة أي : جدب ، وفقر ، ومرض ، وموت أولاد وأحباب قالوا : ! 2 ! 2 أي : بسبب ما جئتنا به يا محمد . تطيروا برسول ا صلى ا عليه وسلم ، كما تطير أمثالهم برسل ا ، كما أخبر ا عن قوم فرعون أنهم ! 2 2 ! . وقال قوم صالح : ! 2 2 ! . وقال قوم ياسين لرسلهم : ! 2 2 ! الآية . فلما تشابهت قلوبهم بالكفر ، تشابهت أقوالهم وأفعالهم . وهكذا كل من نسب حصول الشر ، أو زوال الخير ، لما جاءت به الرسل أو لبعضه ، فهو داخل في هذا الذم الوخيم . قال ا في جوابهم : ! 2 2 ! أي : من الحسنة والسيئة ، والخير والشر . ! 2 2 ! أي : بقضائه